الشعب

يريد اسقاط النظام

obeikan.com

c

obeikan.com

من يمكنه نسيان هذه الصيحة، التى هزتنا وكأنها لإسرافيل وقد نفخ فى الصور، فهب الخلق من رقادهم.

ما هو هذا النظام الذى انتفضنا من أجل اسقاطه؟

من هو هذا الإخطبوط أو الطاغوت؟

على كثرة ما ترددت هذه الكلمة، لم يتطوع أحد بتعريفه، قد يُدهش القارئ لهذا القول، إذ كيف لا نعرفه ونحن نعيش به، نأكل خبزه الأسود، وتسكب فى أفواهنا رشفات من حنظله؟

هذا ممكن فقد شربنا الماء آلاف السنين دون معرفة أنه ذرتان إيدروجين وذرة أكسجين، ووقفت أمى التى أعرف أنها تعرف كل شئ مندهشة وأنا أصيح بعد عودتى من المدرسة " أماه ما تشربينه ليس ماءًا إنه أكسوجين وإيدروجين وإسمه الحقيقى يد ٢ أ "

ومع ذلك لا يمكن إتهام ثوار ٢٥ يناير بأنهم لا يعرفون النظام الذين هبوا لإسقاطه.

بالتأكيد يعرفونه.

ليس بالماهية وإنما بالضد، ليس بالرؤية وإنما بالتصور.

لابد أن يكون أسود لأن النظام الذى يريدونه أبيض، شرير لأن الآخر خَيِّر، مُقَيِّد للحريات لأن النظام الجديد مُطلِق للحريات، مستبد لأن الجديد ديمقراطى، فاسد لأن ألجديد نظيف، ظالم لأن الجديد عادل.

وهنا أتساءل متى أقيم مبنى جديد قبل إزالة القديم ورفع أنقاضه من الموقع؟

ومتى يمكن إزالة الأنقاض دون معاينتها؟

وكيف نعاينها ونحن نستدل عليها ـ كالكهرباء ـ بأثرها أو تأثيرها؟

ويفوتنا أنها كيان حقيقى له رأس وذنب، وله تاريخ ميلاد، وأطوار نمو، وبلغ من القوة والعنفوان حدًا جعله كالثقب الأسود يجذب كل من يقترب من مجاله، ويطويه بداخله، ثم يعيد تشكيله حتى يصبح جزءًا من نسيجه القذر، وله نفس خلاياه السرطانية، عندئذ يطمئن له ويطلعه على الشفرة اللازمة للعمل معه، وتبدأ عملية المبادلة العادلة التى تحقق للعقود ديمومتها وثباتها.

تحصل على ما تشاء من المال والنفوذ.

يحصل النظام على المزيد من الرسوخ والتوحش والوضاعة.

وكأى كيان فاعل له أدواته (tools) أو (العِدّة) بلغة الحرفيين، يستخدمها فى تشكيل خدمه كل حسب موقعه، وأهمية الدور الذى يؤديه لخدمته.

أما عن تاريخ ميلاده فهو ١٩٥٤، وهو التاريخ الذى سلمت فيه الأغلبية نفسها لمجلس قيادة الثورة الذى اتخذ قراره بعدم العودة للثكنات وتسليم البلاد لحكم الأحزاب.

رحبت الأغلبية بذلك وكان لهذا الترحيب أسبابه:

- الجيش كان معقد آمال الأمة لتخليصها من الاحتلال البريطانى التى كانت ترزح تحت سطوته.

- الغربة أو الفجوة القائمة بين الشعب والأسرة المالكة ذات الجذور غير المصرية، وبين الشعب والطبقة الأرستقراطية ألمكونة من خلطة متعددة الأجناس.

- المسافة الكبيرة التى تفصل الأغلبية العظمى من الشعب عن المثقفين.

- فرحة الشعب بخروج المستعمر الذى جثم على صدره ٧٢ عامًا فكان طبيعى أن يقدم البلد كالنقوط فى الأفراح للشباب الذين حققوا له العزة والكرامة والحرية.

لهذه الأسباب نشأت حالة من البهجة الشعبية الكاسحة التى دفعت أمامها كل ما يختلف معها ولا يؤازرها.

من هنا تشكل نظام، أو مشروع نظام، استمد قوته من الجيش، وعلى وجه التحديد من آلياته ومجنزراته التى نزلت لأول مرة إلى شوارع القاهرة فى ليلة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢.

واستمر نزولها إلى الشارع فى نفس الموعد من كل عام، فى استعراض لا يخلوا من دلالة، أو من تأكيد على أن السلاح هو مصدر شرعية هذا النظام.

شاعت هذه الآلية فى دول الشرق الأوسط وإفريقيا حتى وفى أمريكا اللاتينية.

- دبابات ومجنزرات تنزل الشارع.
- احتلال الإذاعة.
- إعلان عن قيام الثورة.
- وصف اللحظة بالتاريخية.
- لا تفصح الحركة عن اسم قائدها بسبب صفة الإيثار التى غالبًا ما يتحلى بها القائمون بالثورة وإنكارهم لذواتهم.
- لا يمر وقت طويل حتى يعرف القائد.
- يلقب بالزعيم.
- يظهر للناس فى سيارة مكشوفة بغرض الفرجة والمعاينة.

ـ يكتشف الناس بسرعة غريبة أنه وحيد عصره، ويقول آخرون كيف لم تلاحظوا أنه لا ينطق عن الهوى، ويسارع علماء الدين والكتاب ممن يشعرون بالمسئولية عن ضبط الأمور ويحرصون على عدم تجاوزها للمعقول، حاشا أن يكون لا ينطق عن الهوى، إنه ينطق عن هبة أخرى من هبات الخالق عز وجل، وهى الالهام ألذى اختصه الله به دون سائر الخلق.

ـ يسمى من هذه اللحظة بالزعيم الملهم.

ـ سيصبح كل ما ينطق به الزعيم من قبيل الحِكَم.

ـ ستسقط عنه كل الصفات التى تجعله مثلى ومثلك، انسان يخطئ ويصيب.

ـ ستدهش بعد ربع قرن أو يزيد (أى بعد خراب مالطه) كيف فاتك أن تسأل عن الخبرة التى أهلته للحكم، وسيركبك الهم لبلاهتك إذ لم يحدث فى تاريخ حياتك أن سلمت رأسك لحلاق على الرصيف المقابل، دون أن تقف لبعض الوقت لترقبه وهو ممسك بالرأس السابقة على رأسك لتتأكد أنه بالفعل حلاق، ولم يذبح الزبون بشفرته، فكيف سلمت له أنت والأمة التى تنتمى إليها رأسك دون أن تسأل عن خبرته.

هذا النظام المفترس على وزن الفك المفترس، أخذته عن مصر (المُعلمة أبدًا) الدول الأخرى، سوريا، ليبيا، الجزائر، اليمن، الصومال، إثيوبيا، وغيرهم، ومهما تكن الإختلافات فجوهر هذا النظام هو

التسليم بإدارة البلاد للمخلصين من شباب هذه البلاد، (لن يجرؤ أحد على القول أنهم بلا خبرة) هذا كان شكل الوليد عقب ولادته، لكن بنموه فى إطار نزعة التسليم الشعبى المطلق، وانتقاله من طور إلى آخر، أصبح على الصورة المرعبة التى هو عليها الآن، مما دفع عدة بلاد عربية بمن فيهم مصر إلى الثورة عليه، والإحاطة به من كل جانب وكأنها تحيط بوحش كاسر تريد أن تسقطه على الأرض، ثم تنقض عليه لقتله.

كلنا شاهدنا السيناريو نفسه على الفضائيات فى تونس، مصر، ليبيا، أليمن، سوريا، الشباب نفسه، الغضب نفسه، الهتافات نفسها،الرايات ذات الثلاث ألوان المستنسخة من العلم المصرى نفسه.

الربيع العربى أو الإعصار العربى أو الثورات الإسبارتيكوسية العربية لم تكن ضد شيئ إلا هذا النظام، ولم يكن لها إلا هدف واحد هو محاكاة النموذج الغربى فى الحكم وفى الحياة، قد تختلف الشعارات وقد تتعقد المطالبات، وقد تكثر المراوغات، وقد تحدث تداخلات من ذوى النزعات الأصولية، ولكن سيظل الدافع هو الوصول إلى نفس المستوى من التقدم الذى وصل إليه الغرب، ومن البديهى أن تسلك نفس الطريق الذى سلكه وهو الديمقراطية، الحرية، الكرامة الانسانية، وهو ما لا يمكن أن يتحقق أبداً إلا بإسقاط النظام، أو بمعنى أدق القضاء عليه، وهذا مستحيل دون

معرفته معرفة يقينية، أو بنظام وضع اليد حتى يمكن هدمه، ورفع أنقاضه، ثم وضع البنية التحتية لديمقراطية حقيقية.

وهنا يبرز السؤال التالى:

ما هى مكونات هذا النظام؟

■■■

obeikan.com